الفصل الثاني

اتجاه الرفض والنبذ في التربيَّة

علي العكس من" اتجاه التدليل"الذي تحدثنا عنه في الفصل السَّابق،هناك« اتجاه الرفض والنبذ » من جانب الآباء والأُمّهات. وهذا الاتجاه يُعتبر أيضاً من الاتجاهات الوالدية الخاطئة في تربية الأطفال والناشئة.

● ماهية اتجاه الرفض والنبذ:

أشار بعض العلماء وعلي رأسهم « ماكورد » Mccorrd في دراستهم لمجموعةٍ من الصبيان المُعتمدين علي الآخرين بشكلٍ مُفرط إلي تميُّز علاقاتهم مع الأُمّ بالقلق. وهؤلاء الصبية دائماً ما يُظهرون أو يُعربون عن شعورهم بالدونيَّة أي تدني النظرة إلي الذَّات، والخوف الذي لا مبرِّر له. فهم يُعانون من الرفض والنبذ من قِبل الأهل، بالإضافة إلي مقارنتهم بإخوتهم أو أخواتهم بشكلٍ مجحف، فهم دوماً في الجانب السَّلبي، بينما يكون الأخ أو الأخت موضوع المقارنة في الجانب الإيجابي.

ولقد لاحظ هؤلاء العلماء أنَّ العلاقات العائلية لهؤلاء الصبية موضع الدراسة تتسم بالمشاجرات والمشاحنات والخلافات الأُسرية المتكرِّرة.

وتُشير هذه الأبحاث والدراسات وما أسفرت عنها من نتائج إلي أنَّ ميل الطفل إلي الاعتماد المُفرط علي الآخرين، وضعف قدرته علي الاستقلالية لا ينتج عن محبَّة زائدة أو محبَّة مُبالغ فيها من قِبل الأهل، وإنَّما يكون ذلك نتيجة لعلاقاتٍ مضطربةٍ مع الأهل وخصوصاً : الأُمّ. فالعامل الذي يُحدِّد استقلالية الطفل وتطوُّر قدرته في الاعتماد علي الذَّات يكمن في طبيعة العلاقة القائمة بين الطفل والأُمّ.

فالطفل الذي يُعاني من الحرمان، ومن قلّة المحبَّة والحنان، يكون شديد الاعتماد علي الآخرين بخاصَّة علي الأُمِّ. فهو يطلب الكثير كما لو أنَّه يُريد أن يبرهن علي مدي استجابة أو تلبية الأُمّ، ومدي تفهُّمها له ،وقبولها إيّاه، وبذلك يُريد أن يجذب انتباهها واهتمامها، وغالباً ما يضيق صدرها به ويقلّ صبرها، وهكذا يستقر الاثنان في حلقةٍ مفرغة، وفي علاقةٍ قلِقة مضطربة.

● **لماذا يشعر الطفل بأنَّه مرفوض ومنبوذ ؟**

١ ـ إهمال الطفل وعدم الاكتراث به، ويتمثَّل ذلك في عدم السَّهر علي راحته، وعدم إشباع حاجاته البيولوجيَّة (الحياتيَّة أو الطبيعيَّة) من طعامٍ،وشرابٍ،ونظافةٍ،وإخراجٍ.. إلخ، أو الحاجات السيكولوجيَّة (النفسيَّة) من حُبٍّ، وأمنٍ، وانتماءٍ،وتقدير ذات.. الخ.

٢ـ انفصال الطفل عن والديه، فالطفل الصَّغير يتألم أشد الألم لانفصال أُمّه عنه، حتى وإن كان لفتراتٍ قصيرةٍ من الوقت، فإن هذه الفترات كافية لأن تُشعره بالقلق والضيق. وقد يحدث في بعض الحالات أن يؤدي بُعد الأُمّ وتغيُّبها عن الطفل إلي نوعٍ من الاستثارة الانفعاليَّة، تكون أحياناً علي شكل صراع أو ثورات غضب وعصبيَّة.

٣ـ التهديد المستمر بتوقيع العقاب البدني المؤلم.

٤ـ التهديد بالطرد من المنزل، أو الحرمان من نزهةٍ، أو إرساله إلي إحدى المدارس الخاصَّة أو الداخلية، أو تسليمه إلي رجل الشرطة (العسكري) إذا همَّ الطفل بارتكاب خطأ ما.

٥ـ كثرة التهديدات أو التحذيرات، فإذا ما طلب الطفل أن يخرج للَّعب مع رفاقه خارج المنزل هدَّده الأبوان بأنَّ ذلك سوف يُعرِّضه للحوادث، أو تلك المتعلِّقة بالطعام كأن يُقال له إن تناول الطعام (الفلاني) سوف يُصيبك بمرضٍ خطير.إنَّ هذه التهديدات أو التحذيرات علي مستوياتها المختلفة تثبت في عقل الطفل، وترتبط بمثيراتٍ مُعيَّنةٍ أغلبها سلبي، فتصبح فيما بعد مصدراً للفزع والضيق وعدم الشعور بالأمن.

٦ ـ إذلال الأطفال بصورٍ مُتعدِّدة: كالنقد والسخرية، أو اللَّوم، أو المقارنة المُجحفة الظالمة بينهم وبين الآخرين في أمور تُقلِّل من شأنهم في نظر أنفسهم، أو إطلاق أسماء أو ألقاب أو صفات تهكمية ساخرة عليهم.

٧. أن يسود سلوك الأُمّ الضجر والتذمُّر، وهي تقوم بإشباع حاجات الطفل.

٨ . عدم حماية الأطفال، وعدم الاهتمام بشؤونهم ومصالحهم كأن يوضع سرير الطفل في مكانٍ مُعرَّض لتيار الهواء، أو إهمال الإجابة عن أسئلته، أو نسيان أعياد ميلاده، أو عدم التعقيب علي تقارير المدرسة، أو عدم مديح الطفل إذا ما حصل علي جائزة تدل علي تفوقه ونبوغه.

● **الآثار السَّلبيَّة لأسلوب الرفض والنبذ:**

١. الكراهية من المشاعر المؤلمة التي يُعاني منها الطفل في تنشئته بين أفرد أُسرته، وكذلك من المشاعر المنهكة نفسيًّا وجسديًّا في تربيته وتعليمه في حضانته أو مدرسته بين زملائه وأقرانه من التلاميذ .وتنشأ الكراهية عندما يحس الطفل بأنَّه مكروه من أفراد أُسرته، أو منبوذ من زملائه لأي سببٍ من الأسباب، وإذا سيطرت هذه المشاعر أو الأحاسيس علي الطفل انهارت معنوياته وتصدَّعت شخصيته وصار فريسة لعددٍ كبيرٍ من الآلام النفسيَّة ثُمَّ اضطراب الشخصيَّة، وقد ينتهي به الأمر إلي الإصابة بالعُقد النفسيَّة.

وقد تتولَّد الكراهية أيضاً في نفس الطفل من عدم رغبة الوالدين أحدهما أو كليهما في الإنجاب، فيفاجئان بوجوده، فيقابلانه بفتورٍ وعدم اهتمام،ممَّا يؤثِّر في نفسيَّة الطفل ويجعله يشعر بأنَّه مكروه من أهله غير مرغوب فيه .وقد يحدث الأمر أيضاً عندما يكون الوالدان يُريدان ولداً فتأتي البنت أو العكس فيخيب أملهما ويُقابلان المولود بشيءٍ من الفتور وعدم الاهتمام أو الاكتراث.

٢. الطفلة أو الطفل في حالات الرفض والنبذ يشعر بعدم الأمان، فيُصاب باستياءٍ بالغ من أبويه، ومن ثمَّ تنشأ حلقة مفرغة بين الوالدين والطفل،فالطفل يبدي عدم تعاطفه أو عدم اهتمامه أو تأثُّره بوالديه،وهم بدورهم يُبادلونه نفس المشاعر،ومن هنا يفقد الطفل ثقته بأسرته، كما تُداهمه حالة من الغيرة الشديدة تجاه إخوته أو أخواته المُفضلين عليه.

كما يحاول مثل هذا الطفل إفساد كُلّ شيء، ولا يحترم النظم السَّائدة من حوله، فيميل إلي التمرُّد والعصيان، وإلي اختراق كُلّ الأساليب المُتبعة في المنزل،فهو يصير طفلاً مُتمرِّداً ومُشاكساً وعدوانياً.

٣. قد يسلك بعض الآباء مع أبنائهم أنماطاً مختلفة من السلوك تدفعهم إلي الشعور بأنَّهم مرفوضين أو منبوذين وغير مرغوب فيهم، وكُلَّما تكرَّر هذا السلوك ــ خاصَّة في المراحل الأوَّلي من حياة الطفل ــ كُلَّما أثَّر ذلك تأثيراً مباشراً وبالغاً في تكوينه النفسي، لأنَّ الطفل في هذه الفترة من فترات النموّ يعتمد اعتماداً كُليَّا علي والديه، إذ يطلب منهم العطف والحُبّ والرعاية والحماية والأمان.

٤ ـ هناك عددٌ من الآباء والأُمّهات ينبذون أطفالهم سواء بالقول أو بالفعل،الأمر الذي يترتب عليه افتقادهم الإحساس بالأمن النفسي والطمأنينة، فتنمو لديهم روح العدوانيَّة والرّغبة في الانتقام، وزيادة حساسيتهم في المواقف المختلفة ليصبحوا عنيدين وأنانيين.

وقد يؤدي هذا النبذ إلي انحرافهم أو جنوحهم إلي الاستكانة والاستسلام،فيصيروا جبناء في تصرُّفاتهم،لا يستطيعون التركيز الذهني فيما يكلفون به من أعمالٍ،ممَّا يؤدي إلي تخلفهم عن أقرانهم فتظهر لديهم اضطرابات الشخصيَّة في المراحل التالية لنموّهم.

٥. الطفل غير المرغوب فيه أو المنبوذ يكون دائم الملاحظة لوالديه،شديد المراجعة لهم، فهو يتتبع خروجهما وعودتهما بتلهفٍ شديدٍ، وقلقٍ زائد .كما يقوم مثل هذا الطفل بالعديد من المحاولات ليكسب بها حُبّ والديه، وذلك بسبب ما يشعر به هذا الطفل من أنَّهما لا يُبادلانه الحُبّ، ويُلاحظ أنَّه بقدر قلَّة حُبّ الآباء والأُمّهات لأبنائهم، بقدر ما يتعلَّق الأبناء بهم.

وهناك ظاهرة تتعلَّق بنقص الحُبّ والرعاية،فإذا عجز الطفل في أن يحصل علي حُبّ أُمّه مثلاً،فإنَّه في بعض الأحيان يلجأ إلي سرقة شيء عزيز لديها ويحتفظ به

بعيداً عنها، وفي العادة لا يكون للشيء المسروق قيمة مادية تُذكر، والطفل يضع الشيء المسروق في مكان أمين، ويتفحصَّه بشوقٍ واهتمامٍ كُلَّما مرّ بمواقف مُحبطة أو مؤلمة، ويجد في الاحتفاظ به رمزاً لاستمرار العلاقة،ولهذا يحرص عليه جدًّا، وإذا فَقَده فإن علاقته بموضوع حُبّه واهتمامه تتهدَّد.

٦ - يقوم الطفل بأنواعٍ من السلوك يقصد بها لفت نظر والديه كالصراخ أو الضحك بصوتٍ مرتفع، أو القيام بنشاطٍ زائد،أو كثرة الشكوى والتذمُّر، أو التخريب، أو إتلاف أدوات المنزل والأثاث ،أو السَّرقة.والطفل يقوم بهذه السلوكيات إمَّا ليلفت الأنظار وبالأخصِّ نظر والديه، وإمَّا لينتقم منهما.فإذا قام الطفل بإتلاف أدوات أو أثاث المنزل، فإنَّه يعرف جيداً أنَّ والديه سوف يشتريان بدلاً منها، وفي هذا عقاب لهما !

٧- وفي حالاتٍ أخري يُعرِّض الطفل المنبوذ نفسه للجروح أو الكدمات، ليلفت إليه الأنظار وذلك حتى يعتني به الأبوان، وقد يتمادي الطفل في تلك التصرُّفات فنراه يدعي المرض بصفةٍ مُتكرِّرة، أو يمتنع عن الطعام، أو قد يتبوَّل لاإرادياً، وهي ظاهرة تنم اضطرابات نفسيَّة.

٨- القيام بسلوكياتٍ تتميَّز بالمقارنة والعدوان والثورة والعناد، وهؤلاء الأطفال الذين يشعرون بالنبذ أو الرفض يكونون في الغالب مصدر شغب وتعب في البيت أو المدرسة، كما أنَّه ليس من السهل إخضاعهم للسلطة.

٩- يقوم هؤلاء الأطفال بسلوكيات تنم عن حقدهم علي المجتمع وتعديهم علي السلطة، إنَّ سلوكهم يكشف عمَّا يُعانونه من المرارة والحقد والغيرة وعدم الرِّضا.

- **كيف يمكن تلافي أسلوب الرفض والنبذ:**

- تؤكِّد الدراسات أنَّ الحُبَّ يلعب دوراً كبيراً ومهماً في نشأة الشخصيَّة، وفي تشكيل « مفهوم الذَّات » Self Concept ،حيث يحاول الإنسان بشكلٍ مستمر التعرُّف على أعماق ذاته لتحديد توجهاتها وملامح شخصيَّته، وتكون تلك

المحاولة مُلِحَّة في مرحلة المراهقة من عُمُر الإنسان، وتستمرّ حاجاته هذه لباقي مراحل حياته، وذلك تبعاً للتغييرات التي تطرأ عليه وعلى بيئته، وبذلك يعتبر« مفهوم الذات» هو مركز الشخصيَّة الإنسانيَّة وتكوينها وبناؤها. وقد أوضح عُلماء النفس الأوائل بأنَّ المجتمع ما هو إلاَّ مرآة يرى الفرد ذاته فيها، فعرَّفوا الذات على أنَّها كُلّ ما يُشار إليها في الكلام بضمير المتكلّم.

ويعتبر عالِم النفس الأمريكي« وليم جيمس » William James (1842-1910) من أوائل العلماء الذين وضعوا« مفهوم الذات» في مرتبة الصدارة في أبحاثهم، فقد رأى بأنّ الذات هي عبارة عن المجموع الكلّي لكُلِّ ما يمكن للإنسان أن يراه بأنَّه له، وقد حدَّد "جيمس" ثلاثة أنواعٍ للذات، وهي: ذاتٌ ماديّة، وهذه الذات ممتدَّة، فبالإضافة لاحتوائها على جسد الفرد، فهي أيضاً تضم أُسرته وكافة ممتلكاته.وذاتٌ اجتماعيَّة، وتتضمَّن هذه الذات وجهة نظر الآخرين وآرائهم بالفرد. وذاتٌ روحيَّة، وتضم رغبات الفرد وانفعالاته. ولذلك فإنَّ إحباط الحاجة إلي الحُبَّ يؤدي إلي تدهور الحالة النفسيَّة والجسميَّة للفرد.

- ثبت أنَّ إحساس الطفل بأنَّه غير مرغوب فيه أو منبوذ يُحطم روحه المعنوية، ويجعله ينطوي علي نفسه، فيزداد إحباطه وقنوطه، وبالتالي تسوء صحَّته النفسيَّة، وهو الأمر الذي ننهي عنه ونُحذِّر منه علي طول الخط.
- إنَّ قوَّة الخُلُق، وسويَّة الشخصيَّة، والشجاعة، والأمانة، والصدق، والاتزان، والثقة بالنفس والاعتداد بها، والرَّغبة في أن يكون الفرد إنساناً خيراً، إنَّما تُبعث جميعها من شعور الطفل بدفء الجوّ الذي يعيش فيه،ومن إدراكه بأنَّه موضع الحُبّ والثقة والاحترام، وبأنَّ أعماله وإنجازاته تلقي المُساندة والتشجيع، ثُمَّ الثناء والتقدير.فإذا أردنا أن ينشأ أبناؤنا علي الثقة والاطمئنان، وأن يتجهوا إلي العمل البنَّاء في تعاونٍ وتضحيةٍ وإيثار، وأن يجدوا السَّعادة في البذل والعطاء،فلمنحهم الحُبّ أوَّلاً وأخيراً.

- شعور الطفل بتقدير الكبار من أفراد أُسرته لمَّا يقوم به من أعمال ينبه خير ما لديه، ويبعث الحماس للقيام بخير ما يستطيع،فلقد قيل:« إنَّ التحمُّس هو الشيء الذي يجعل الدنيا تتحرَّك ».أمَّا إذا لقي النبذ والإهمال،فلن يبعث ذلك في نفسه إلاَّ الشعور بالعجز والمرارة.

- يجب أن يكون الآباء والأُمّهات ودودين ومتقبلين لأطفالهم، فإذا أراد الأطفال أو الناشئة أن يتحدَّثوا عن أشياء تخصهم، أو أن يطرحوا أسئلة تستغلق عليهم معرفتها أو تؤرقهم وجب عليهم أن يسمحوا لهم بذلك، وأن ينصتوا لهم جيداً .

- من أكبر الأخطاء التي يقع فيها الآباء والأُمّهات علي حدٍّ سواء هو عقد مقارنات بين الأطفال وإخوتهم أو أخواتهم، لأَّن ذلك من شأنه أن يُدمِّر أواصر الحُبّ والألفة بينهم جميعاً، ويُشعل في نفوسهم لهيب الغيرة القاتلة التي تنعكس ــ بصورةٍ أو بأخرى ــ علي نموَّهم من الناحيتين الوجدانيَّة والسلوكيَّة، حيث يجتاحهم الشعور الدائم بالخطر وعدم الاستقرار.فلنبتعد عن مقارنة الأطفال بعضهم البعض فلكُلِّ طفل نموه الخاص وتكوينه المُتفرِّد .

- الابتعاد نهائياً علي دمغ الطفل بألقابٍ أو صفاتٍ تهكميةٍ الغرض منها نبذه أو تعييره،مهما اقترف من أخطاء أو أفعال سلوكية لا نرضي عنها،وليكن احترامنا لشخصياتهم النامية هو شغلنا الشاغل ونحن نقوم بتربيتهم وتنشئتهم.

- قبول أطفالنا علي علاتهم، ولنؤمن تمام الإيمان بأنَّ لكُلِّ طفل مميزاته وعيوبه، إيجابياته وسلبياته، فلننظر بكُلِّ الدعم والمساندة إلي تلك المميزات أو الإيجابيات لننميها ونتولاها بالرعاية والتَّقْل، ولننظر إلي تلك العيوب والسلبيات بنوعٍ من الموضوعية والهدوء والتريث ونتولاها بالتعديل والتغيير،وسوف نجني أفضل النتائج بمزيدٍ من الصبر والدأب.